النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٣٧ / ١٩٩٨
الأحد ١٣ أيلول

تقدمة عيد الصليب الكريم المحيي
تجديد هيكل قيامة المسيح إلهنا
المقدسة وتذكار القديس الشهيد
في الكهنة كورنيليوس قائد المئة
اللحن الخامس
إنجيل السحر الثالث

الـــرســـالـــة (غلاطية ٦ : ١١ – ١٨)
الإنـــجـــيـــل (يوحنا ٣ : ١٣ – ١٧)

+ الصليب

" قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (متى ١٦ : ٢٤)

إن أراد أحد ... في مطلع هذه الآية يتضح وجهان: القرار الشخصي أو الخيار الحـو، وانفتاح الدعوة للجميع. السير وراء يسوع متاح للجميع دونما تمييز. لكان السيد يقول " كـــل من أراد أن يتبعني ... ". السير وراء يسوع يستلزم قراراً حراً وفي هذا المطلع تشديد واضح على إرادة الفرد وكأننا نقرأ " الذي يرغب بإرادته أن يأتي ورائي ... ".

حينئذ، فقط بعد الفعل الإرادي، يضع يسوع مُتقبِّل الدعوة أمـــام مســـتلزمات ثـــلاث: نكران الذات، حمل الصليب واتباع يسوع. فالحياة رحلة، سفر، فيها ككل سفر، فراق ومتـــاع ووجهة. الفراق عن كل ما ليس ليسوع، المتاع هو الصليب والوجهة هي السيّد وهو المثال.

+ التنكر للعالميات:

يشمل الفراق كل خيرات هذا العالم ومباهجه التي متى تعلقنا بها جلبت لنا أثقالاً تعوق تقدّمنا. التخلي عن العالم ليس تضحية بقدر ما هو باب من أبواب الحذر والفطنة كما يطرحـــه السيّد في مَثَل الرجل الذي كان يحضر لبناء برج أو ذاك الملك الذي أعدّ العدة لمحاربة آخـــر (لوقا ١٤: ٢٨ – ٣١). الموت للعالم هو الشرط الأول لتلك "الحياة المستوردة مع المسيح فـــي الله" (كولوسي ٣: ٣). أما الوسيلة الفضلى لبلوغ هذا الموت فهي الالتصاق بيسوع المصلـــوب الذي "به قد صلب العالم لي وأنا للعالم" كما قال الرسول بولس (غلاطية ٦: ١٤).

+ التنكر للخطيئة

في دعوته يذهب الرب إلى حد التشديد على نكران الذات، الذي يبدأ بالتنكر للخطيئـــة. "فناكر ذاته، يقول العلامة اوريجنس، هو من تنكر بالتوبة العميقة لحياتـــه الماضيـــة برمّتـــها متطلّعاً إلى حياة جديدة في المسيح. وحده نكران الذات يسهل لنا نكران الخطيئة التي كنا قـــد أحببناها وتعلقنا بها حتى الآن".

يقول القديس ايرونيموس أن "من كان فاسقاً، بالعفة ينكر ذاته، ومن كـــان متراخيـــاً يقتني بجهاد الفضيلة الإقدام. من اعتنق العالم حكمة يعود عن غيه متى اعـــترف أن المســـيح حكمة الله وقوته. هذا لا يصير بالأعمال المحدودة بل بحالة يصير إليها التائب. فـــلا مجـــال للحياة بالمسيح مع حياة العالم. نكران الثانية شرط لاقتناء الأولى. يضيف القديس ايرونيمـــوس أن نكران الخطيئة واجب على المسيحي. فالمسيح مات من أجل خطايانا ومعموديتنا هي اتحاد في موته كما يقول الرسول بولس إلى أهل رومية (رومية ٦: ٣).

+ نكران الذات

نكران الذات هو ذروة التخلي. فمن أنكر ذاته القديمة صار عنها غريبـــاً بالكليـــة، لا يهتم لها البتة وإن رآها في الضيق والعذاب. الذهبي الفم يرى في نكران الذات فعـــل حكمـــة يؤول إلى الحياة. فمن أنكر ذاته رفع وصايته عنها وأوكلها إلى المعلم الصالح الـــذي يميـــت شوائبها ليفعمها بالحياة التي من عنده. بذا يكون من أنكر ذاته قد تخلى عمّا لها مـــن أفكـــار

ومشاعر وأهواء ورغبات. "المسيح أتى ليجدد كل الأشياء، فترك لنا وصايا جديـــدة. مقـــابل الحياة المفعمة بالرذائل وضع يسوع حياة الفضائل، مقابل الجشع الزهد، مقابل الغضب الحلـم، وفي وجه الكبرياء أوصى بالتواضع" يضيف الذهبي الفم.

+ "... يحمل صليبه"

للوهلة الأولى وقع سامعو هذه العبارة في أعمق دهشة. فهم كانوا ينظرون المجرميـن يحملون صليب موتهم في تطواف غايته التعبير والمذلة. لكنهم عندما رأوا سيدهم مرتقياً درب الجلجلة وعلى منكبيه الصليب فهموا. فالمسيح ابن الله اقتبل صليب العار بملء إرادته، مفرغاً ذاته مطيعاً حتى الموت، ومات أكثر الميتات مهانة وهو الذي ما اقترف ذنباً.

حمل الصليب هو اقتبال كل ما يصلب الطبيعة القديمة وبشجاعة وفرح يميتها. بيـد أن هذا لا يكون ظرفياً بل حالة يحياها المؤمن كل يوم. ففي كل يوم وظرف ينتظرنا صليب أعده الله لكل منا بمقدار ما يحتاج إلى تنقية وبمقدار النعمة المعدّة له.

على هذا يضيف القديس غريغوريوس أن "الصليب هو تخل وعطاء، إمســـاك عـــن الشهوات ورحمة تتحسس آلام القريب. حامل الصليب يزهد بالأرضيات لا حبا بالمجد البـاطل بل بحثا عن مجد الله. هو يرأف بالقريب لا إفراطا بالتفهم بل لأنه بمحبته يريد أن يحمله إلـى المسيح".

+ "... ويتبعني"

حمل الصليب لا يكون حبا بالعذاب، فالعذابات ليست للمؤمن غاية. قيمـــة العذابـــات تكمن فقط في ما تؤدي إليه وحمل الصليب يجدي فقط من كان لاتباع يسوع، أي متى كان في وجه كل رذيلة نصلبها، فضيلة نقتنيها. المؤمن يسلم ذاته للمسيح، يتألم من أجله وهـــو فـــي الحقيقة يتألم من أجل ذاته ليحيا فتكون له خيرات الدهر الحاضر الحقيقية وأمجاد الآتي. مـــن يلتصق بالمسيح يصبح صليبه صليب المسيح. ان التصق بصليب المســـيح يعنـــي ان اقتبـــل خلاصه.

حمل الصليب وراء يسوع ليس إمحاء سلبيا بل اتضاع إيجابي يؤدي إلى الحياة. مـــن يكفر بنفسه ناظرا يسوع يشهد ليسوع في هذا العالم فيشهد له يسوع أمام الآب. بشهادته يقتنـــي المؤمن البر الحق وتكون له القداسة، قداسة المسيح.

ثمة رجل قبل أن يصلب للعالم وأن يصلب العالم له فحمل صليبه وقال "لست أنا أحيـا بعد...". عظمة هذا القول أن الرسول قائله أوضح: "بل المسيح يحيا في...". هكذا صار أكـثر

المضطهدين شراسة أكثر المبشرين غيرة. أن نسمّر قديم ذواتنا على صليب الموت ليس موتاً، بل مبعثاً لحياة جديدة، "حياة مستترة مع المسيح في الله".

+ الحسد

الحسد هو الميل الجامح لاشتهاء الحصول على ما للآخر، أكان مادياً أو معنوياً، وكذلك تمنّي الخير للذات وعدم تمنّيه للآخرين. انه شر جامح غايته إلغاء الآخر والحلول مكانه للتمتع بما هو عليه أو بما يملكه. الحسد قاتل لأنه، وإن كان ظاهرياً يقتل المحسود بصورة معنوية، إلا انه نار تأكل الحاسد وتميت الإنسان الخيِّر فيه. لا يمكن للحسود إلا ان يكون أنانياً وهو لا يعرف المحبة ولا اللطف أو الكرم: "المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ" (١ كو ١٣ :٤). لا يعرف الحسود روح الشركة الحقة مع الناس، وهو عادة يتصف بهذه الصفة لطمعه وأنانيته وشراهته. فالعالم يبدأ وينتهي عند حدود مصالحه المادية، ونحن نقرأ في سفر الأمثال ان "حياة الجسد هدوء القلب ونخر العظام الحسد" (١٤: ٣٠) و"الغضب قساوةٌ والسخط جُرافٌ ومن يقف قدام الحسد؟" (٢٧: ٤).

قد يقول قائل ان الحسد طبع من طبائع الإنسان ويسأل آخرون هل الحسد خطيئة؟ الجواب بسيط ونجده في إنجيل مرقس وهو ان بيلاطس عند محاكمته يسوع "عرف ان رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً" (مرقس ١٥: ١٠) فالحسد كان سبباً لصلب السيد. وهذا يعني بالتالي ان الحسد ليس طبعاً لا يستطيع الإنسان أن يتخلص منه، بل ان الحسد خطيئة لأنه خيار مظلم يعتمده الإنسان ليندفع بواسطته إلى بلوغ مآربه الشريرة. وهكذا فإن اليهود بدافع من حسدهم الأعمى أخطأوا وأسلموا رب المجد للصلب.

ان المسيح يدعونا ان نخرج من أنانيتنا ان نميت في ذواتنا الإنسان العتيق. والرسول بولس يدعونا إلى الحرية قائلاً: "لا تصيِّروا الحرية فرصة للحسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً لأن كل الناموس بكلمة واحدة يكمل. تحب قريبك كنفسك. فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً فانظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضاً" (غلاطية ٥: ١٣ – ١٥).

في عالم اليوم ومع تفشي العقلية المادية ومع اعتبار ضرورة الوصول إلى الغايات أياً تكن الوسائل، يتعرّض المسيحي إلى تحديات أكبر ليتصرّف نحو الآخر بعيداً عن روح الخصام والجشع النابعة من الحسد. في مفهومنا اليوم ان قيمة الإنسان هي بقيمة ما يملك أو بقيمة المركز الذي يتبوأه. لذلك يعتمد البعض على تنفيس أحقادهم بالحسد "كفشة خلق" لأنه ليس بالإمكان اكثر من ذلك.

الحسود لا يتطلّع إلى الإنسان على ان قيمته في ذاته. وهذا ينطبق على نظرته لنفسه وللآخرين على حد سواء. الحسود ينسى ان المسيح اشتراه بدمه الكريم على الصليب وانه جعل منه خليقة جديدة. يفترض بها ان تجاهد في سبيل الملكوت: "والجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون" (غلاطية ٥: ١٦-١٧).

إنسان الحسد فينا يسبب السخط والشقاق والتحزب والحسد والبطر "والذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله" (غلاطية ٥: ٢١).

الإنسان يحصد ما يزرع فمن زرع الحسد يحصد الحقد والخصام، ومن يزرع الاتضاع والبساطة يحصد الفرح والمحبة.

قد يكون ما قاله القديس مكسيموس المعترف خير ما يعتمده الإنسان المسيحي ليتخلص من الحسد: "زين فكرك بيقظة دائمة بالله، بالصلاة ومعرفة الحقائق الإلهية، بنكران تام للذات، ولا تتساهل مع نفسك. ان فعلت هذا فإن نور ذهنك لن يخبو ولن يجد الحسد إلى قلبك سبيلا. وإذ كنت جادا في غرس الأفكار الصالحة فلن تدنو منك الأعداء غير المنظورة". من يقدر ان يقهر الشرير في ذاته يعرف عمق الرحمة والمحبة.

+تأمل

لا نخجل من الاعتراف بالمصلوب، ولنرسم علامة الصليب بأصابعنا بصراحة على جباهنا وعلى كل شيء: على الخبز الذي نأكله، وعلى الكأس التي نشربها، وفي دخولنا وخروجنا، عندما نرقد وعندما نستيقظ، سواء كنا نسير في الطريق أو نستريح. إنها أداة قوية للوقاية من الأذى، مجانية للفقراء وغير متعبة للمرضى، بما أنها نعمة من عند الله. إنها علامة للمؤمنين وهلع للشياطين، لأنه جردهم من سلطانهم وشهرهم، إذ سيرهم في موكبه الظافر (كو ٢: ١٥). إنهم عندما يرون الصليب يتذكرون المصلوب، فيرتعدون من ذاك الذي سحق رؤوس التنانين (مز ١٤:٧٣). لا تحتقر هذه العلامة لأنها مجانية، بل أكرم بسببها الرب المحسن.

وإذا تناقشت يوما ولم تجد الحجج الإيضاحية الحاسمة فليبقى إيمانك ثابتا. ولكن بالأحرى بما أنك أصبحت عالما، فسد أفواه اليهود بفضل الأنبياء، وأفواه اليونانيين بأساطيرهم الخاصة. إنهم يعبدون الصاعقة التي تسقط، والصاعقة التي تأتي من السماء لا تأتي بطريق الصدفة. فإن كان هؤلاء لا يخجلون من عبادة كائنات مصعوقة يكرهها الله، فهل تخجل من عبادة الحبيب ابن الله، هذا الذي صلب لأجلك؟ إني أخجل من التحدث عما يسمونهم آلهتهم؛

إني أتركهم نظراً لضيق الوقت. فليتحدّث عنهم الذين يعرفون، ولتسدّ أفواه جميع الهراطقة. وإن قال أحد إن الصليب لم يكن إلا صورة ظاهرية، فأعرض عنه، واحتقر الذين يقولون أنه صلب ظاهرياً. لأنه إذا صلب في الظاهر، فإن الخلاص لم يكن إلا ظاهرياً، بما أنه يأتي من الصليب. ولو كان الصليب خيالياً لكانت القيامة كذلك. وإن المسيح لم يقم، فنحن ما زلنا بعد في خطايانا (١ كور ١٥: ١٧). وإن كان الصليب خيالياً، يكون الصعود خيالياً، ومجيئه الثاني كذلك. وهكذا يصبح كل شيء بلا أساس.

وعليه إتخِذْ من الصليب أساساً لا يتزعزع، وابنِ عليه بقية الإيمان. لا تُنكر المصلوب، لأنك لو أنكرته لأثبتَتْ عليك أمور كثيرة ضلالك: أولاً يهوذا الخائن، لأنه عرف أن الشيوخ ورؤساء الكهنة حكموا عليه بالموت (متى ٢٧: ٣)، والثلاثون من الفضة، وجتسماني حيث تمت الخيانة. هذا، وأنا لا أتحدث عن جبل الزيتون حيث كان الرسل يصلون في تلك الليلة. قمر تلك الليلة يشهد ضدك، والنهار والشمس التي أظلمت، لأنها لم تستطع أن ترى جَوْرَ المتآمرين. النار التي كان بطرس يصطلي بقربها ستثبت ضلالك، إن أنكرت الصليب فلك النار الأبدية. إني أتكلم بقسوة لكي لا تلقى عقوبات قاسية. أذكر سكاكين جتسماني التي رُفعت عليه، لكي لا تنال منك سيوف الأبدية. سيفحمك منزل قيافا الذي يدل بعزلته الحالية على قوة الذي حوكم عندئذ. سيقف ضدك قيافا نفسه في يوم الدينونة، وخادمه الذي صفع يسوع، والذين أوثقوه، والذين قادوه. سيقف ضدك هيرودس وبيلاطس ليقولا لك: كيف تنكر هذا الذي اتهمه اليهود زوراً وكنا نعرف أنه بريء؟ لأني أنا بيلاطس قد غسلت يديّ عندئذ. سيقف ضدك شهود الزور، والجنود الذين ألبسوه الأرجوان، ووضعوا إكليل الشوك على رأسه. وهؤلاء الذين صلبوه على الجلجلة واقترعوا على ردائه. سيفحمك سمعان القيرواني الذي حمل الصليب خلف يسوع.

...لك من شهود الصليب إثنا عشر رسولاً، والإمبراطورية بأسرها، وعالم البشر الذين يؤمنون بالمصلوب. ومجرد وجودك هنا يجب أن يقنعك بقوة المصلوب. لأنه من هو الذي قادك إلى هنا؟ أي جنود؟ أية سلاسل؟ أي حكم من أحكام القضاء؟ إنه بالحري شعار غلبة يسوع الخلاصي، أي الصليب، هو الذي جمعكم كلكم هنا. إنه هو الذي قهر الفرس ومدن الشيتيين. هو الذي منح المصريين معرفة الله بدل من القطط والكلاب والأضاليل العديدة. إنه هو الذي، حتى اليوم، يشفي الأمراض، ويهزم الشياطين، ويفسد مفعول السموم والأفعال السحرية.

هذه العلامة ستظهر في السماء مع يسوع (متى ٢٤: ٣٠) لأن الراية تسير دائماً قدّام الملك، بحيث أن اليهود التائبين، عندما ينظرون إلى الذين طعنوه ويعرفون هذا الذي سببوا له

العار بالصليب، سيبكون وينوحون ويندمون بعد فوات وقت الندم. أما نحن، فسنهنئ ذواتنـــا، مفتخرين بصليب المسيح، ونسجد للرب الذي أُرسل وصُلب لأجلنا، كما نسجد لله الآب الـــذي أرسله، مع الروح القدس، الذي له المجد أبد الدهور، آمين.

القديس كيرلس الأورشليمي

(٣١٤ – ٣٨٧)